وقفة: مع حب الوطن

كانت تلك وقفة مع الدنيا، وإن كان المؤمن لا يركن إليها، ولا يغتر بزخارفها، فكيف ينبغي للمؤمن أن يكون مع وطنه، وهو يعلم بأن حب الوطن من الإيمان؟

فالأوطان بالنسبة للأمم قاعدة وجودها، ومهد حضارتها، وأرض بنائها، ومقومات معاشها.

والإنسان من غير وطنٍ يكون مشردًا، فلا أمن ولا أمان، ولا سكينة ولا اطمئنان، فلا عجب أن نرى نفس الإنسان تحن إلى وطنه، وروحه تهفو إليه، يؤثره على كل محبوب، ويقدمه على كل مطلوب.

الوطن يا أحبتي، تلكم الأرض التي يحيا عليها الإنسان، برمالها، وأحجارها، وأشجارها، وهوائها، ومياهها.

هو تلكم الأرض بمساجدها، بآثار الأجداد، وتكوين الأبناء والأحفاد، وهو مقر الأرحام والجيران.

الوطن للإنسان كالثوب واللباس، هو مسقط الرأس، ومكان الصبا، وفيه النشأة، فالإنسان يعيش أحلى لحظات صباه في وطنه، يسلك الطرق، ويتسلق الجبال، يلهو ويلعب منذ نعومة أظافره، إلى جوار أهله، وجيرانه، ويشكل الخلية الأولى لصداقاته، فيا ليت الشباب يعودُ يومًا!

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، إن حب الوطن ضرورة شرعية، وعقلية، وقد علمنا الأسوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كيف يكون حب الوطن، فها هو قد تعلق قلبه وبصره صلوات الله وسلامه عليه، بحب بلده الذي نشأ وترعرع فيه، بعد أن عز عليه فراقه، ولولا أن الدعوة إلى الله أعز عليه لما هاجر، ولكن

حب الدين مقدم على حب الوطن.

لقد حوت كتب السيرة، وسجل التأريخ في سجلاته، ودوّن في دفاتره، كلمة النبي صلى الله عليه وسلم ، عندما خرج من مكة مهاجرًا: ﷺ **ما أطيبك من بلدٍ وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك**ﷺ، رواية الترمذي.

وعند أحمد، عن عبد الله بن عدي ابن الحمراء قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته واقف بالحزورة يقول: ﷺ **والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**ﷺ.

الله أكبر، يرشدنا صلى الله عليه وسلم في هذه الكلمة، إلى ضرورة حب الأوطان، ويُسطّر أروع الأمثلة في مدى تعلق الإنسان بوطنه، وكم ينبغي أن يبذل من حبٍ تجاه ذلك الوطن.

بهذا التوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم ، انغرس حب الأوطان في قلوب الصحابة الكرام، فهذا بلال رضي الله عنه كان في المدينة المنورة، إذ أقلعت عنه الحمّى، يرفع رضي الله عنه عقيرته - أي صوته - قائلاً في حنينٍ وشوق إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وهل ::: بوادٍ وحولي إذخر وجليل وهل أردن يومًا مياه مجنّة ::: يبدون لي شامة وطفيل

بل بلغ به الحب والشوق إلى الوطن، أن دعا على أولائك الذين أخرجوه فقال: ﷺ **اللهم العن شيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا**ﷺ.

أيها الفضلاء الأماجد، حب الوطن غريزة، وجبلة أشربت في قلوب الناس، بل وفطرة فطر الله الخلق عليها.

فالطيور تحن إلى أوكارها، والحيوانات إلى مرابضها، وكل ذي وطن إلى وطنه، وكأن هاتفًا يقول: الوطنَ الوطن.

فما أجمل ما تغنى به الشعراء، وعبر عنه الحكماء، وكتبه الأدباء عن حب الأوطان، فهذا يقول:

وطني لو شغلت بالخلد عنه ::: نازعتني إليه بالخلد نفسي

وقال غيره:

ولي وطن آليت ألا أبـــيعه وحبَّ ::: وألا أرى غيري له الدهر مالكًا
أوطان الرجال إليهم إذا ذكروا ::: مـــآرب قضاها الشباب هنالكا
أوطانهم ذكّرتهموا ::: عـــهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وقال آخر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة ::: وأهلي وإن ظنوا علي كرام

وغيرهم كثيرٌ كثير، فها هي أعرابية تحن إلى خيمتها فتقول: (من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلادها توّاقة، وإلى مسقط رأسها مشتاقة).

وتلك ميسون زوجة معاوية، تذكر وطنها ومرتع صباها، فتحنّ وتقول:

لبيت تخفق الأرواح فيه ولبس ::: أحب إليّ من قصرٍ منيفِ أحب إليّ
عباءة وتقر عيني ::: من لبس الشفوفِ

فيا إخوتاه: ينبغي أن نقف وقفة مع الوطن، وأن ننظر في أوطاننا، وما ينبغي أن نقوم به تجاهها، فاحرصوا على كل ما يريده الوطن، من بنائه ورفعة شأنه، والعمل على نهضته، وحافظوا على ممتلكات أوطانكم، واعملوا على بث روح التكافل والتحابب بين أبنائه، فمثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

كما أن الدفاع عن الوطن فرض عين على أبنائه، والموت في الدفاع عن الوطن شهادة، وأن حراسة الوطن من أعظم الأعمال لنيل الأجر والثواب، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**═.

فيا عبد الله، الوطن الوطن، تذكر أنه مسقط رأسك، وأنه فطرة الله التي فطرك عليها، وأن نبيك صلى الله عليه وسلم ضرب أروع الأمثلة في حب الأوطان.

فالله الله في الوطن، ونسأل الله أن يجعل وطننا آمنًا مطمئنًا، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

* * *